الاستاذ

الجزء السابع عشر من السنة الاولى

يوم الثلاثا ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٣١٠ و ٠٥ كيهك سنة ١٦٠٩

الموافق ١٣ دسمبر سنة ١٨٩٢

لِمَ اخْتَلَفَتْ كَلِمَتُنا إِذَا اتَّحَدَتْ وِجْهَتُنَا

تتقلب اوجه الكلام بتقلب المقاصد ملونة بطلاء المصلحة اوالمدنية او ضرورات العمران مختلفة باختلاف المآرب والمشارب · وكلٌّ يدعي انه الخادم الامين ويرى ان الحق ما يقوله والمصلحة فيما يحث عليه والخير فيما يدعو اليه فلا يزال كل كاتب ينمق الالفاظ ويتحايل على ستر مقاصده بلثام المحسنات الكلامية والسفسطة الإيهامية حتى اذا فرغ من مقالته اعترضه المتعقبون وابطلوا براهينه ودحضوا حجته وعارضوا ادلته وجاؤا بضدما يدعو اليه وحذروا من متابعته وامروا برد مقالته وبينوا مقاصده وكشفوا مخبأته واظهروا وجهته التي يدعي انها هي وجهتهم زاعمين ان الحق ما في سطورهم والبلاغة نفث صدورهم واكدوا للقراء انهم على الصراط المستقيم يدعونهم الى سواء السبيل ويهدونهم الى طريق التقدم والنجاح وما فيه خير العباد والبلاد · فاذا بعث القراء تلك المواعظ وجدوها دخاناً صاعداً من خلال تراب ينذر باشتعال ما تحتهُ من النيران ليصطلوا بتلك

الحرارة التي تذهب ما هم فيه من برد وسلام · هنالك يتبينون ان افواه الكتاب الباسمة ما انضمت الا على نيوب صلٍّ يتحيَّن غفلة النائم لينهشه نهشة يسرى منها سمه في جميع الاعضاء · فتراهم يجانبون المحتالين ويفتشون كلام المستعمَلين آلة بيد الغير ويحذرون من ادلة السوء والخُدَعة الذي يستميلهم بالتغرير والنفاق · ولو ناقشتهفي مقاصده لاقام لك الحجة على حسنها واحتياج الحال اليها واوهمك انطرق الاصلاح التي تخالف مشربه هي طرق الافساد والخلل · وهكذا يفعل ويقول غيره عند تخطيئه او اظهار خفايا رسائله المزخرفة بتلوين العبارة ولا يرجع عن دعواه الخدمة العامة وتكلمهعن الرأي العام وسعيه فيما فيه صلاح الامة واستقامة احوالها كدعوى غيره

كثر الشك والخلاف وكلٌّ يدعى الفوز بالصراط السويّ

هذه هي حالةفريقمن الجرائد في الشرقبين عربية وافرنجية ترى كل جريدة انها انما انشئت لخدمة الشرق واهله وانها قاصرة على السعي فيما يقدم المعارف والتجارة والزراعة وانها لا ترى الا ما فيهالاصلح للامة والأولى لها ثم يتبين من خلال عبارات بعضها ما تخدع به الشرقيين وتدعوهم الى الغير · فاذا اظهرت ذلك جريدة اخرى قامت الحرب بينهما على ساق ورأيت كلاًّ مدفوعاً بيد اجنبية والشرقيون لعدم تبصرهم واغترارهم بالظواهر يطيرون حول الجريدتين وينقسمون الى قسمين · ولكنهم بعد هذا الاندفاع يحصل عندهم التبصر ويرجع كل فريق باللائمة على نفسه عندما يرى ان الجرائد شقت عصا الجماعة وفرقت الآراء بتفرق الاهواء · وهذا الذي

علَّم الشرقيين ونبههم على معرفة نسبة الجرائد وخدمتها لأَية دولة فكانت كمدرسة تربت فيها افكارهم حتى اذا نبغوا في نقد الجرائد لم يعودوا للانخداع باقوالها والاغترار بتلبيسها · ولا تعاب الجرائد بتلك المنَازع التي نزعت اليها فان المحرر ان كان من امة اخرى فهو يخدم امته قياماً بالواجب عليه وكل من رأَى انه يخدم امة غير امته فهو غرٌّ لم يدخل ساحة العقلاء · وان كان اجيرًا او مدفوعاً بيد الغير فهو اجنبي يسعى خلف اجرته لا يبالي باع اباه بها او امه · وقليل من نراهم يخلصون النصح ويحثون على خدمة البلاد والامة ويبينون الواجبات ويدافعون عن الامة بما في وسعهم وطاقتهم فاذا رأَوا جريدة محلية او اجنبية اهتضمت حقوق الامة او امرائها او ملوكها شنوا عليها الغارة ودافعوا دفاع الغيور كما فعل بعض الجرائد المحلية من عربية وافرنجية في الدفاع عن حقوق الحضرة الخديوية ردا لافكار مكاتب التيمس او ذات التيمس وكما تفعل الجرائد ذلك عند تطرف الجرائد الأَجنبيه والحط على الشرقيين بما ليس من اخلاقهم وعاداتهم · ولقد صار للجرائد في مصر والشام شأْن واي شأْن فتربت بعباراتها الافكار وتعلمت الامة كثيراً من الاصول السياسية وخاضت في بحار المذاكرات الدولية وابعدت في بحث المقاصد التحريرية حتى صار العامي يميز بين الجرائد اذا سمع باسمها فيقول جريدة كذا تابعة لدولة كذا وجريدة فلان تخدم امة كذا وجريدة زيد يصرف عليها من مال عبيد وهذه غايتها خمود افكار الشرقيين وهذه تقصد ان يحاز الشرق لدولة كذا · وهذا اثر اختلاف الجرائد · وهذه التربية وان حصلت بضد رغبة الجرائد وداعي انشائها ولكنها اثبتت لها الفضل في فتح ابواب المذاكرات وجلب الاخبار

وتبيين مقاصد الرجال ومحاورات الدول · ولا نرى الشرق محتاجاً لشيء اهم من نصحاء مخلصين يبينون طرق الاصلاح الحقة ويغارون على اوطانهم غيرة الحر على حرمه ولا يميلون الى النفرة وتفريق الكلمة الشرقية والتفاخر بالاقتدار على الكتابة او بسعة الاطلاع اوكثرة المعارف اوالتحايل على التقبيح والشتم بعبارات يتخيل الكاتب انها بعيدة عن الافكار وهي اقرب لفكر العامّي من نعله · فما ضر الشرقيين الا اختلاف الوجهة واستعمال ألسنتنا العذبة في تحويل افكار اخواننا عن الوجهة الشرقية الى الوجهة الغربية لوقوف المحررين في مقام المرشدين والوعاظ واعتماد الامم على افكارهم · ولكن الشرق قريب العهد بالجرائد ويرى في كثير منها ان امم اوروبا لا تعتمد الا عليها ولا تسمع الا نصحها وانها السنة الامم هناك والمتكلمة بالرأي العام لكونها تترجم عن حزب او امة فاغتر وظن انها فيه كذلك فانجر خلف كثير منها حتى رأى نفسه على شفا جرف الضياع بضياع كثير من بقاعه فتنبه واخذ يتبصر في اقوال الجرائد وما تحت عباراتها من الأشراك الخفية التي ينصبها الأُجراء · والعجب ان الاجير اذا صار في حكم الغير بعد ان يتم له ما استُؤجر لأجله سيق مع الأُمة التي اضلها وعد من الافراد الذين خدعهم واصبح لا مجد ولا شرف · وشر الرجال من ينفق حياته في افساد اهل بلاده واغراء الغير بهم طمعاً في ذهب يموت ويتركه فيفنى ويبقى ذكره القبيح خالداً في بطون اوراقه · ومن لنا بتوحيد وجهتنا معاشر الشرقيين وقد نبتت لحوم الاجسام في خدمة الاجنبي فانفعلت لها الارواح الحاملة لقواها فكلما حولتها عن وجهتها الغربية دارت اليها فهي قبلة مصلاها التي وقفت في محرابها

وقوف القانت الواعظ · والا فما بالنا اذا قالت جريدة ان ائتلاف الشرقيين امر واجب ليشد بعضهم عضد بعض قامت الاخرى وقالت ان هذا نداء بالتعصب والتجمع فادركي يا دولة كذا وتداركي هذه العصابة وبددي شملها قبل ان يستفحل امرها وعد سعيها خلف العمران فتنة وثورة · واذا قالت جريدة ينبغي ان نحافظ على عوائدنا الجنسية والدينية ونأخذ من محسنات اوروبا ما لا يضر بمعتقد ولا يذهب بمال ولا يهتك عرضاً قامت الاخرى وقالت ان هذه الجريدة تدعو الى الهمجية وتقهقر المدنية وان سعيها ضد سعي دولة كذا وهي ضارة باعمال امة كذا واذا لم تلغ سمع صدى صوتها في الآفاق الشرقية وخيف على التمدن والنفوذ الغربي · واذا قال كاتب صلاحنا في استقلالنا بمالكنا واعمالنا قال له الآخر اننا غير مؤهلين لذلك وان حاجتنا الى الاجنبي كحاجة الجسم للروح · واذا قال خطيب ان سعينا خلف تعلم الصناعة مما يزيد قوتنا ويعظم ثروتنا عارضه الآخر وقال لا معادن عندنا ولا معامل في بلادنا ولا صُناع فينا ولا قدرة لنا فأولى بنا ان نبقى تحت عوامل الزمن قانعين بمصنوع الغير · واذا نادت جريدة بحفظ حقوق ملك شرقي كسلطاننا الاعظم او امير كخديوينا المفخم قامت اخرى وقالت ان في ضياع تلك الحقوق حياة البلاد وراحة العباد فاذا سئلت عمن تحفظ له تلك الحقوق قالت دولة كذا او امة كذا وظنت انها تنصح الامة وتسعى في مصالحها بهذا البهتان · ولا ننكر حقوق الجرائد التي تبذل النصح وتهدي الى الحق كجرائد اوروبا التي بذلت ما في وسعها في خدمة ملوكها وممالكها ودافعت عن حقوق امها دفاع المستميت فترى جرائد كل امة جارية على طريق واحد لا تتحول عنه ولا تميل الى الغير فاذا

تصفحناها على اختلاف مشارب محرريها ومذاهبهم وجدنا في كل كلمة معنى يدعو الى الوطنية ويحرض على المحافظة على الحقوق المقدسة والعوائد الأهلية والمذاهب الدينية · ولا يلام اجنبي نزح عن بلاده ليخدمها في الشرق فانه يقيم بذلك الدليل على صدق وطنيته وجدِه في خدمة ملته وانتصابه للدفاع عن دولته فالذي نسميه خداعاً وتغريرا من الجرائد الاجنبية بالنسبة لمغايرته لمصالحنا هو عين المجد والشرف لها لكونه وجهتها التي توجهت اليها سكنت الشرق او الغرب · ولكن العجب من شرقي يخدم غربياً بسلب حقوق اخوانه واضاعة شرف اوطانه والحط على ملوكه وامرائه ينادي اخوانه بلسانهم كأنه ناصح مشفق ويستعين عليهم بهم وينفق على اضلالهم من مالهم حتى اذا استلان عرائكهم قذف بهم في ساحة الغير · والأجنبي المحض خير للشرقيين من هذا المحتال ولقد اثرت اكاذيب مثله في نفوس الشرقيين حتى ميزوا الخبيث من الطيب لثقل الكذب على اسماعهم · ولا نلبث ان نرى الافكار الشرقية وصلت الى وحدة صرفة تصدم بها كل هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل · وانما يوصل الشرقيين لذلك قرع اسماعهم بنصح الجرائد المخلصة محلية كانت او اجنبية وتبيين مشارب الجرائد الخادعة ووجهتها والتحذير من فتنتها التي تدعو اليها ومستأجرتها التي تنادي باسمها اذ ذاك تتجه القوى الفكرية الى وجهة واحدة في جميع الممالك الشرقية مع مراعاة كل امة خصائص مملكتها ومزايا متعبدها ورجوع المجموع الى نظام يماثل به نظام اوروبا مدنية وشرفاً واستقلالاً · ومن العبث ان يتصور وصول الشرق الى القوة العلمية والتجارية والادارية في زمن يسير او عصر هذا الجيل

فان ذلك لا يقول به مجنون فضلا عن قل وانما يسمى الحاضر جد فيأتي مَن بعده على اثره فتتدافع قوى العلم والعمل عاماً فعاماً وجيلاً فجيلاً حتى ينتهي توحيد الوجهة الى حالة لا يقال فيها لم اختلفت كلمتنا اذا اتحدت وجهتنا

مدرسة البنين

كامل وحافظ

· ك · انت تعلمت من الاستاذ الوضوء · ح · نعم وانا الآن اصلي كل وقت ولله الحمد · ك · علمني ولك الفضل فان مدرستنا لا تعلم الدين الاسلامي · ح · انت في اي مدرسة · ك · في مدرسة اجنبية · ح · وماذا تتعلم هناك من الاديان · ك · هم يعلمون التلامذة المسلمين والمسيحيين والموسويين الدين المسيحي فيلزموننا ان نصلي صلاتهم قبل الدخول في الدروس · ح · ولِمَ لم تخبر اباك بذلك · ك · اخبرته وسألني ماذا نقول في الصلاة فقلت له اقول ابونا الذي في السموات الخ ومع ذلك ما سأل عني بشيء ومعي كثير من ابناء المسلمين وكل اهليهم في غفلة عن امر الدين ولذا ترى كثيراً من التلامذة الذين تربوا عندهم لا يقومون بشيء من شعائر الاسلام فلا يصلون ولا يصومون ولا يتطهرون من نجاسة او جنابة ولا يفرقون بين الحلال والحرام · ح · اعوذ بالله من هذه الغفلة يا ترى المغفل من هؤلاء اذا نظر في المدرسة الاجنبية ورآها مبنية بناء عظيماً بتكلف مبالغاً عظيماً وفيها من الادوات ما صرف فيه كثير من الذهب ومن المعلمين ما يحتاجون لرواتب عظيمة ثم يرى